دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدبي

سلسلة رسائل :

((بدع الخلف في ميزان السلف))

الرسالة الثانية

الرسالة المحررة بتسمية النبي لمدينة ((المنورة))

لراجي عفو ربه
خادم العلم الشريف
د. عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري

سلسلة رسائل:

« بدع الخلف في ميزان السلف »

الرسالة الثانية

الرسالة المحررة

بتسمية النبي لمدينته بالمنورة

خادم العلم الشريف

عيسى بن عبدالله بن مانع الحميري

الطبعة الأولى
١٤٢٢ – ٢٠٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

المدينة المنورة

الحمد لله الهادي إلى الصواب، والكاشف لأوليائه بنوره عن كل حجاب، والصلاة والسلام على من بعثه الله ضياءً ونوراً، وسراجاً منيراً، فانكسفت بطلعته الأنوار، وخجلت من ضيائه الشمس و الأقمار، وعلى آله وصحبه مصابيح الدجى وأعلام الهدى، وعلى من تبعهم بإحسان، و اهتدى بهديهم و اقتفى أثرهم إلى آخر الزمان ... وبعد :

فإن أعظم البلاء على هذه الأمة في صنفين من الناس :

أحدهما : أولئك الجهلاء المتعالمون، الذين لا

علم لديهم ولا فقه عندهم، وهم مع ذلك يضعون أنفسهم في مصافّ كبار العلماء، وتخلع عليهم خلع الفقه والفقهاء، فيغرون العامة في أمر دينهم، فيستفتونهم فيفتونهم بغير علم، فيَضلون ويُضلون.

والثاني: هم من العلماء الذين لا خشية من الله مع علمهم، ولا مراقبة لله في فقههم، فاستحال العلم في حقهم مطغياً لا مزكياً، وموردًا للمهالك بدل أن يكون منجياً؛ فإن العلم سلاح ذو حدين، إن لم تصحبه خشية الله ومراقبته والخوف منه سبحانه كان سببا في هلاك صاحبه بدل نجاته، وطغيان نفسه بدل تهذيبها، وضلالها بدل هدايتها، وإننا في هذا

الزمان قد ابتلينا بكلا الصنفين على وفرة فيهم، وجرأة كبيرة منهم على الله ودينه ورسوله، واستخفاف خطير بسلف هذه الأمة وعلمائها الأجلاء، وفقهائها النجباء.

فأصبحنا نرى ونسمع في كل يوم من الفتاوى العجيبة، والبدع الخطيرة ما يشيب له رأس المولود، ويجعل الحليم حيران.

وإن من بين هذه البلايا العجيبة، والمحدثات الشنيعة ما جاء به بعض من أولئك الذين ذكرنا، حين أتى ببدع من القول وشنيع من الرأي، يرى فيه أن إطلاق وصف (المنورة) على مدينة النبي ﷺ بدعة لا تجوز وينبغي أن تغير إلى المدينة النبوية.

ويالها من بدعة شنعاء يتجرأ بها من يدّعي الإصلاح، والتخلق بأخلاق السلف الصالح محتجاً بفهمه المعكوس الخاطئ، للحديث الصحيح[1] الثابت عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء من المدينة كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ أظلم من المدينة كل شيء، وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا».

ثم يتلفظ بلفظ تكاد السموات يتفطرن منه، وتخر الجبال هدّاً، حينما يقول:

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٢١) والترمذي (٣٦١٨) وابن ماجه (١٦٣١) وابن حبان (٦٦٣٤) والحاكم (٣/ ٥٧).

فإن المدينة اليوم مضاءة بالأنتريك ! ! !

وهوبذلك يخالف نصوصاً من الكتاب والسنة، وإطلاق وعمل كبار العلماء الذين كانوا أحرص منه على اتباع السنة، وتنقية دين الله سبحانه من البدع والمحدثات.

على أنه حين تلفظ بذلك، فقد أتى بما يدل على جهله المظلم، وفهمه السقيم لنصوص الكتاب والسنة، فإن الله سبحانه وتعالى حينما أطلق على نبيه ﷺ اسم النور فقال: ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ أتراه عنى بذلك النور الحسي، الذي ينطفئ بانطفاء سراجه لنقول: إنه قد اختفى وانطفأ بموت النبي ﷺ ؟ ! إذن فما فضله ﷺ على الشمس وما

فضله على المصابيح الكهربائية؟! ولماذا يمن الله سبحانه وتعالى علينا نور محمد ﷺ الذي لم يدم أكثر من بضع وستين عاماً؟! ولا يمن علينا نور الشمس التي تضيء لنا كل يوم منذ أن خلق الله هذا الكون وإلى أن تقوم الساعة؟! أما كان أحرى أن يمن علينا نور هذه الشمس على نوره ﷺ ؟!

ثم إن الله سبحانه وتعالى يقول واصفاً نفسه العلية : ﴿ الله نور السماوات والأرض.. ﴾

ترى فإذا جن علينا الليل وأظلمت الأرض، فهل يعني ذلك أن نور الله سبحانه وتعالى قد غاب عنها؟! وأن الله سبحانه وتعالى لم يعد نوراً مدة ظلمة الليل؟!! حاشا لله!! فمن اعتقد

ذلك فقد كفر وخرج من الملة لأن نور الله سبحانه وتعالى لا يحده ليل ولا نهار. . .فإن صفاته سبحانه وتعالى لا يغيرها الزمان ولا المكان .

نعوذ بالله من هذا الفهم السقيم، ونسأله سبحانه أن ينور قلوبنا لنفهم عنه الفهم المبين، فإن الله سبحانه وتعالى لم يرد ذلك المعنى قطعاً، وإنما أراد أنه ﷺ النور الهادي للقلوب والبصائر، الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهداية، وشتان بين ذلك المعنى وهذا، فإن هذا النور هو الذي لا يغيب ولا ينطفئ، وهو الذي إذا ما أشرق على قلب أضاءت منه كل ظلمة، فانكشفت أمامه

الحجب وظهرت له المحجة واضحة جلية لا لبس فيها ولا خفاء.

يقول الإمام الرازي رحمه الله: وتسمية محمد ﷺ والإسلام والقرآن بالنور ظاهرة، لأن النور الظاهر هو الذي يتقوى به البصر على إدراك الأشياء الظاهرة، والنور الباطن أيضاً هو الذي تتقوى به البصيرة على إدراك الحقائق والمعقولات. انتهى. (١١ / ١٩٠)

وهذا النور الذي تنورت به المدينة المنورة بعد مقدم رسول الله ﷺ عليها، هو نور الهداية والإيمان، بعد الضلال والكفر والعصيان.

قال الإمام الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه﴾ أي

من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وذلك أن الكفر يتحير فيه صاحبه كما يتحير في الظلام، ويهتدي بالإيمان إلى طريق الجنة كما يهتدي بالنور. انتهى (١١ / ١٩٠)

وهنا نقول: فهل انكسف هذا النور بعد موته ﷺ ؟ ! وهل رجع أهل المدينة إلى الظلمات بعد النور؟ ! أم أنهم ما زالوا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يتقلبون في نور الإيمان والهداية الذي أناره لهم رسول الله ﷺ ؟ ! !

هذا وإنه قد ثبت تسمية سيدنا عثمان بذي النورين من الصحابة أنفسهم، وإنما سمي بذلك رضي الله عنه لمكانه من بنتي رسول الله ﷺ (رقية وأم كلثوم عليهما السلام) قال الحسن

رحمه الله: إنما سمّي عثمان «ذا النورين» لأنا لا نعلم أحداً أغلق بابه على ابنتي نبي غيره. انتهى[١]

فهؤلاء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم - وهم من السلف الصالح على ما نعتقده - يطلقون اسم ذي النورين على سيدنا عثمان رضي الله عنه، مع أن بنتي رسول الله ﷺ قد توفيتا عنه، ولم يبقيا بجسديهما معه، فلماذا لم يسحبوا هذه التسمية منه بعد وفاتهما؟ هل كانوا مبتدعين في ذلك؟! أم أن فهمهم قد

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ترجمة عثمان (٣٠ / ٤٧٠) تاريخ ابن عساكر (٣٩ / ٥١) عن الحسن البصري والحسين بن علي الجعفي (٣٩ / ٥١) والبيهقي في السنن الكبرى عن الجعفي (٧ / ٧٣).

تقاصر عن هذه المرتبة العلية من السقامة والسذاجة؟! وحاشا لأصحاب رسول الله ﷺ أن يصلوا إلى مثل ذلك.

إذن فكما جاز للصحابة رضوان الله عليهم أن يطلقوا اسم ذي النورين على سيدنا عثمان بعد وفاة زوجتيه بنتي رسول الله ﷺ، جاز لنا أن نطلق اسم المدينة المنورة على مدينته ﷺ ولو بعد وفاته ﷺ. وذلك مما لا يخفى على ذي فهم وبصيرة.

إذا فهم هذا الذي قررناه، وعلم المعنى الحقيقي لنور النبي ﷺ، أدركنا أن احتجاجهم بحديث سيدنا أنس رضي الله عنه لنفي اسم المدينة المنورة من أبطل الباطل، وأوهى الدلائل.

بل إنه يلزم منه من المعاني الباطلة ما لا يخفى فساده على كل عاقل، فهل كان ينبغي أن نسمي المدينة المنورة بعد وفاته ﷺ وقبل أن تضاء بالأترنيك بالمدينة المظلمة؛ لقول سيدنا أنس رضي الله عنه: فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ أظلم من المدينة كل شيء؟! فإن من يحتج بهذا القول على نفي اسم المدينة المنورة يلزمه أن يقول بتسميتها بالمدينة المظلمة. نعوذ بالله من ظلمة البصائر، وعتمة القلوب والسرائر.

فإذا أدركنا فساد احتجاجهم بحديث أنس رضي الله عنه، وسوء فهمهم لمعانيه، نشرع الآن في بيان معناه الصحيح فنقول:

إِن كلام سيدنا أنس رضي الله عنه محمول على وحشة القلوب، التي يورثها فقد المحبوب، فإِنه لا يخفى على أحد أن الصحابة رضوان الله عليهم قد كملت محبتهم لرسول الله ﷺ، وعظم تعلقهم بذاته الشريفة وأوصافه المنيفة، حتى قال واصفهم: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.

ومعلوم لكل ذي لب وبصيرة أن هذه الوحشة إِذا ما دخلت قلب امرئ، فإِنها تجعل الدنيا بما فيها مظلمة في عين صاحبها، فكل ما يراه وكل ما حوله سواد كأنه الليل البهيم.

وهذا ما نزل بأصحاب رسول الله ﷺ يوم انتقاله، حتى إِن سيدنا عمر رضي الله عنه قد

سل سيفه وقال: من قال: إن محمداً قد مات قطعت عنقه. وما ذلك إلا لأن مصابهم برسول الله ﷺ أورثهم وحشة في قلوبهم أظلمت الدنيا في أعينهم، حتى جاء سيدنا أبو بكر ليزيل هذه الغشاوة بقوله: من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

أما الهداية التي أتاهم بها ﷺ فأخرجتهم من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الهداية والإيمان ومعرفة الله سبحانه وتعالى، فإنهم لم ينفكوا عنها ولم تنفك عنهم، فهم لم يرتدوا بعد إيمانهم، ولم يكفروا بعد إسلامهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وكذلك أهل المدينة المنورة على

ساكنها أفضل الصلاة والسلام من بعدهم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مازالوا وسيبقون منوَّرين بالإيمان والهداية، ومنوِّرين الدنيا بمنبع النور الذي تشرفوا به وسكن عندهم ﷺ، وطاب حياً وميتاً.

أو ليسو هم - ولله درهم - الذين اصطفاهم الله سبحانه على أهل الدنيا، ليشرفوا بجوار نبيه ﷺ في حياته، وبعد مماته، فكان خير جار لهم، وكانوا خير جيران له، حتى ورثوا منه ﷺ نور هدايته، والحكمة التي جاء بها من عند ربهم سبحانه وتعالى، فكأن رسول الله ﷺ قد جاوز بهم وصية جبريل بالجار، التي كان يوصي بها رسول الله ﷺ، حتى ظن رسول الله ﷺ أنه

سيورثه، فورثهم حقاً وصدقاً، ما نرى آثاره في مدينتهم المنورة المطيبة، في أرضها وسمائها، وأهلها ومجاوريها حتى يومنا هذا، ولله الحمد والمنة.

وبهذا البيان والتوضيح لحديث سيدنا أنس الصحيح يتبين لنا بجلاء ووضوح وهاء الاستدلال بهذا الحديث على بدعية إطلاق المنورة على المدينة. والله أعلم.

بل إن إطلاق البدعة على هذه التسمية أو غيرها من التسميات من أساسه باطل، يدل على جهل من أطلقه، وعدم فهمه الصحيح لمفهوم البدعة في منظور الشريعة الإسلامية، إذ إن إطلاق الأسماء على الأشياء من الأعراف التي

يتعارف الناس عليها، ويصطلحون على إطلاقها، اللهم ما عدا أسماء الله سبحانه وتعالى ونبيه الأكرم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وليس ذلك من العبادات التي لا يجوز اختراعها، وبجب فيها الاتباع دون الابتداع.

يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى عند شرحه قوله ﷺ : « إن الله سمى المدينة طابة » :

فيه استحباب تسميتها طابة، وليس فيه أنه لا تسمى بغيره، فقد سماها الله تعالى المدينة في مواضع من القرآن، وسماها النبي ﷺ «طيبة» في الحديث الذي قبل هذا ...انتهى شرح النووي على مسلم (٧ / ١٥٦)

وقد ذكر ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى

في حاشيته على الإيضاح للنووي (٤٧٩) أن لها من الأسماء ما يقارب ألف اسم.

ولم يُنقل عن واحد من سلف هذه الأمة أو خلفها إنكاره أو تبديعه لشيء من هذه الأسماء، بل إنه على العكس من ذلك نقل عن علمائنا الثقات الأثبات إطلاق وصف المنورة على المدينة كما سنبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

على أننا قد وقفنا بحمد الله ومنته على أصل لهذه التسمية في الحديث الشريف عن الصادق المصدوق ﷺ ، وذلك فيما نقل ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (٤ / ٨٩) عن عمر بن شبة أنه روى في أخبار المدينة من رواية زيد بن أسلم قال: قال النبي ﷺ : «للمدينة عشرة أسماء:

هي المدينة وطابة وطيبة والمطيبة والمسكينة والدار وجابرة ومجبورة ومنيرة ويثرب» انتهى.

فهذا النبي ﷺ يطلق عليها اسم المنيرة في هذا الحديث الذي يذكره ابن حجر ولا يضعفه، فهو عنده ثابت على قاعدته المشهورة في فتح الباري. فماذا يريد بعد ذلك المنكرون؟!

فالحمد لله على ما وفق وهدى.

بقي أن نشير بعد ذلك إلى أن إطلاق وصف المنورة قد ثبت استعماله من سلف هذه الأمة وعلمائها الثقات الأخيار.

أما ثبوت استعماله عند السلف الصالح رضوان الله عليهم، فذلك ما يدل عليه استخدام الواقدي رحمه الله هذه التسمية في كتابه (فتوح

الشام) وذلك في موضعين وقفنا عليهما في الصفحة (١٣) السطر الثاني وفي الصفحة (٦٧) السطر الخامس عشر فإذا علمنا أن الواقدي رحمه الله قد عاش معظم حياته في القرن الثاني وتوفي أوائل القرن الثالث سنة (٢٠٧ هـ) تبين لنا أن تلك التسمية كانت سائدة في عصره وهو عصر السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وأما إطلاقه عند علمائنا وأئمتنا المتبوعين، فذلك ما وقفنا عليه عند كثير منهم وعلى رأسهم من يعدونه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وذلك في مجموع فتاواه في (٢٧ / ٤٨٢) وعند تلميذه وشيخهم ابن قيم الجوزية في كثير

من كتبه كما في بدائع الفوائد ٣ / ٦٣٣ و ٤ / ٨٢٤ وشرح قصيدته (١ / ٤٣) و (/ ١٥٦ ٢) وكذلك وقفنا عليه عند ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (٢ / ١٦٠) في نص يدل على أنها كانت التسمية المعروفة والمتداولة في عصره رحمه الله تعالى. إلى غير ذلك من أقوال العلماء التي يصعب حصرها وحشدها في هذا المقام، والتي تدل على تواطؤ العلماء على إطلاق وصف المدينة بالمنورة دون إنكار من أحدهم، حتى من أولئك الذين عنوا أشد العناية بالذود عن حياض الشريعة الغراء، ونفي البدع والمحدثات عنها. فلذلك نرى أن القول ببدعية وصف المدينة بالمنورة هو بحد ذاته من البدع

المنكرة التي لم يُسبق إِليها قائلها، وليس له فيها سلف أو سند من دليل صحيح أو نظر سديد، وإِنما هو من الجهالات المفرطة والتخليطات المشوشة في مفاهيم الشريعة الإِسلامية وأحكامها.

وأخيراً، وفي نهاية هذا المطاف أجدني أمام تساؤل يحيرني ويؤرقني، تساؤل أتوجه به إِلى أولئك الذين يشوشون على الأمة كل يوم بمثل هذه الأقوال المبتدعة الغريبة، ألا وهو: لماذا هذا الاستخفاف بمقدسات هذه الأمة ؟! وما الدافع إِلى مثل هذه الممارسات من الأقوال والأفعال التي من شأنها أن تهون علينا ما أراد الله سبحانه منا أن نعظمه ونوقره؟! وتضعف في نفوسنا محبة

ما من شأنه أن يعمق تعلقنا بهذا الدين وتمسكنا به ؟! لماذا طمس المعالم الإيمانية ؟! وتضييع المواقع التاريخية العظيمة ؟! وتحقير المعظمات في نفوس المؤمنين ؟!

ألأجل ما زعمتم أنكم تخافونه على المؤمنين من الشرك والبدع المحدثة ؟! وهو خوف من خطر متوهم تربأ الأمة الإسلامية عنه، لو هي عُلِّمَت دينها أقل تعليم، وثُقِّفت في عقيدتها أقل ثقافة، وقد جرَّنا هذا الوهم إلى خطر متحقق عظيم، ألا وهو تلك الهوة الخطيرة بين المسلم المعاصر وتاريخه الغابر، عندما طمستم المعالم والمواقع التي كان من شأنها أن تربط المسلم المعاصر بتاريخه العظيم، وتذكره بسيرة سلفه الأولين

ليقتفي أثرهم ويحفزه ذلك على التمسك أكثر وأكثر بدينه وعقيدته.

فمن ينكر اليوم أنه وبسبب هذه الممارسات قد صار حج بيت الله الحرام أقل تأثيراً في نفوس المؤمنين؟ وأضعف تذكيراً لهم بمواقع الصحابة الكرام ومشاهدهم ومواقفهم رضي الله عنهم؟

فلأجل ذلك نناشدكم أن تكفوا أيدي التخريب والطمس عن ديار الله المقدسة ومواطن التذكرة والعبرة، وتدعوا للمسلمين مقدساتهم وشأنها، فإنها حق المسلمين جميعاً، وليس لأحد الوصاية عليها. إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.